

## شارلى كولسون

ينابيع الخلاص (١٠) شارلى كولسون تعريب وليم داود الطبعة  
الثامنة ١٩٩٤ يطلب من لجنة خلاص النفوس للنشر ١٢ ش  
قطة - شبرا مصر ت: ٢٥٧٧٢٥٢٦ بسم الآب و الابن و الروح  
القدس إله واحد آمين

مطبعة الخلاص

## شارلى كولسون

### الصبي البطل

لقد لمس الله قلبي - من فرط رحمته - مرتين أو ثلاث في  
حياتي وقعت فيها تحت تأثير تبكيت عظيم...  
أثناء الحرب الأمريكية - و قد كنت جراحاً في جيش الولايات  
المتحدة - بلغ عدد الجرحى في معركة جتسبرج بضع مئات  
ازدحم بهم المستشفى، و كان بين هؤلاء الجرحى ثمانية و  
عشرون أصيبوا إصابات خطيرة استدعت إسعافهم على جناح  
السرعة، و كان ضمن هؤلاء صبي لم يقض في خدمة الجيش  
أكثر من ثلاثة شهور بوظيفة طبال، لحدثه سنه و عدم لياقته  
لأن يكون جندياً، و كانت حالته تحتم ضرورة بتر ساقه و ذراعه  
معاً. و إذ أراد الجراح المساعد و أحد الممرضين أن يخرّاه  
بالكلوروفورم تمهيداً للعملية، حوّل رأسه و رفض بإصرار أن يقبل  
ذلك.

قال له الممرض: "انه أمر الطبيب أن نعطيك شيئاً من  
الكلوروفورم" فأجاب الصبي قائلاً: "استدع الطبيب لي".

ذهبت إليه، و إذ وقفت بجانب سريرته قلت له: "أيها الشاب، لماذا لا تقبل الكلوروفوم؟ لقد وجدتكَ في ميدان القتال خائر القوى حتى ظننت أنه لا فائدة ترجى من انتشالك، لما كنت عليه من إعياء و ذهول، و لكن عندما رأيته تفتح عينيك الزرقاوين جال بخاطري أنه ربما يكون لك أم تفكر في ابنها، فلم أسترح لتركك تسلم الروح في ميدان القتال و أمرت بنقلك إلى هذا المكان، و الآن لن تقوى على احتمال العملية بدون الكلوروفوم بسبب كمية الدم التي نزلها جسدك، فاسمح لي أن أعطيك قليلاً من الكلوروفوم".

وضع الصبي يده على يدي و حلق في وجهي ثم قال: "أيها الطبيب عندما كنت في التاسعة و النصف من عمري كنت معتاداً أن أذهب إلى مدرسة الأحد، و في يوم أحد بعد الظهر سلمت قلبي للمسيح، و تعلمت منذ ذلك الحين أن أثق به، فهو وحده قوتي و سندي و هو الذي سيُعصّديني بينما تبتذر ذراعي و ساقي".

سألته: "هل تسمح لي أن أعطيك شيئاً من الكونياك؟". فنظر الصبي إليّ مرة أخرى و قال: "أيها الطبيب، في الخامسة من عمري جاءت أمي بجانبني و طوقتني بذراعها و قالت: "شارلي، إنني أصلي الآن للرب يسوع لكي لا تذوق الخمر طول حياتك، لقد عاش أبوك سكيراً و نزل إلى قبره سكيراً، و لقد عاهدت الله أنه إذا كانت مشيئته أن يبقيك في الحياة فلتكن منذراً للشبان محذراً لهم من هذه الكأس المريرة". و الآن أنا في السابعة عشرة من عمري و لم أذق الخمر قط،

فضلاً عن أنني الآن على وشك الذهاب لحضرة إلهي، فهل ترسلني إلى هناك ورائحة الخمر في فمي؟".

لن أنسى قط نظرة ذلك الصبي... كنت في ذلك الحين أبغض يسوع، و لكن إخلاص ذلك الصبي لمخلصه ملك عليّ مشاعري، و حين رأيت محبته لسيدة و ثقته به حتى الرmq الأخير شعرت بشيء خفي يلمس قلبي... عملت مع ذلك الصبي ما لم أعمله مع أي جندي آخر، سألته: "أتريد أن أدعو لك قسيساً؟"، أجابني: "نعم يا سيدي".

حضر القس، وفي الحال عرف الصبي لأنه كان يتردد على اجتماعات الصلاة التي كانت تعقد في خيمة خاصة. و إذ أمسك القس بيده قال: "شارلي إنني آسف أن أراك في هذه الحالة المؤلمة"، أجاب شارلي: "يا سيدي، إنني على أحسن ما يرام، لقد قدم لي الطبيب الكلوروفورم و لكنني رفضته، فأراد أن يعطيني شيئاً من الخمر فأبيت كذلك أن أتناوله، و الآن إن كان مخلصي يدعوني فإنني على أهبة الاستعداد و يمكنني أن أذهب إليه و أنا في كامل الصحو و التعقل".

- ربما لا تموت يا شارلي، و لكن إن كانت مشيئة الرب أن يدعوك إليه فهل لديك ما تكلفني بعمله بعد ذهابك؟".

- "أيها القس، تفضل وضع يدك تحت وسادتي و خذ إنجيلي الصغير تجد فيه عنوان أمي، إنني أرجوك أن ترسله لها مرفقاً بخطاب منك تخبرها فيه أنني لم أدع يوماً يمر دون أن أقرأ فصلاً من كلمة الله كما أنني كنت أصلي يومياً إلى الله لكي يبارك أمي العزيزة سواء كنت في مسيري أم في ساحة القتال أم في المستشفى".

- "هل هناك شيء آخر تكلفي به يا بني؟".
- أرجوك ياسيدي أن تبعث لرئيس مدارس الأحد بشارع ساندس ببروكلين - نيويورك، و تقول له إنني لم أنس قط كلماته الرقيقة و صلواته المشجعة و نصائحه الغالية التي لازمتني حتى وسط الخطر المحدق، و الآن في ساعة احتضاري أسأل مخلصي أن يبارك رئيسي العزيز. هذا هو كل ما أريده".
- ثم أدار وجهه و قال لي: "و الآن أيها الطبيب إنني على استعداد، و هذا وعدي لك أن لا تخرج من فمي أنة واحدة بينما تبتز ذراعي و ساقي، إذا لم تعطني شيئاً من الكلوروفورم". وعدته.. و لكن خانتني شجاعتي، فلم أستطيع أن أمسك مشرطي لأجراء العملية، فذهبت إلى غرفة مجاورة حيث تناولت جرعة من شراب منبه للأعصاب ليشجعني على القيام بواجبي.
- أخذت مشرطي، و صرت أقطع من لحم شارلي كولسون حتى و صلت إلى العظم و شارلي صامت لم أسمع منه أنة واحدة، و إذ أخذت منشاري لأفصل العظم أدخل الصبي طرف وسادته في فمه و قال بصوت خافت: "يا يسوع... يا يسوع المبارك، قف بجانبني الآن"، و قد بر بوعده فلم يئن مطلقاً.
- لم أذق طعم الكرى (النوم) في تلك الليلة، و كنت كلما تقلبت في فراشي أشاهد عينيه الزرقاوين فأغمض عيني حتى لا أراهما، و في سكون الليل كان يتردد في أذني صوت الصبي و هو يقول: "يا يسوع المبارك، قف بجانبني الآن". و بين منتصف الليل و الواحدة صباحاً هجرت فراشي و خرجت لزيارة

المستشفى و هذا كان أمراً غريباً لم أعتده من قبل إلا إذا استدعيت لإسعاف حالة خطيرة... كانت رغبتني في رؤية ذلك الصبي، لذلك عند وصولي، و عندما أخبرني الممرض المنوط بالمراقبة ليلاً أن ستة عشر جريحاً فارقوا الحياة، سألته على الفور: "و كيف حال شارلي كولسون؟ أهو في عداد الموتى"، فأجابني: "كلا يا سيدي، إنه مستغرق في نوم لذيذ كنوم الأطفال".

عندما وصلت إلى سريره أخبرتني إحدى الممرضات أن عضوين من جمعية الشبان المسيحيين زارا شارلي حوالي الساعة التاسعة يصحبهما القس و بعد أن قرأوا فصلاً من كلمة الله رنموا ترنيمة جثا بعدها القسيس بجانب فراش شارلي و رفع صلاة حارة حركت القلوب، ثم رنموا ترنيمة أخرى من أحلى ما سمعت الأذن و اشترك شارلي معهم في الترنيم. أما أنا فلم أستطع أن أدرك كيف كان ذلك الصبي يرغم تحت ثقل ألم مبرح كهذا".

مضت خمسة أيام منذ بترت ذراع الصبي العزيز و ساقه إلى أن أرسل في طلبي ليسمعني أول عظة تبشيرية سمعتها في حياتي. قال: "أيها الطبيب لقد دنت ساعتني و لا أمل عندي في رؤية شمس الغد، لكنني أشكر الله لأنني على استعداد للرحيل. و قبل موتني، أريد أن أقدم لك شكري على ما أوليتني من جميل، و ما أظهرت نحوى من شفقة، و ما صنعت بي من رحمة. أيها الطبيب، إنك يهودي لا تؤمن بيسوع، فهل تتفضل بالوقوف بجانبني لكي تراني أموت واثقاً في مخلصي إلى اللحظة الأخيرة من حياتي؟".

حاولت إجابة طلب الصبي، و لكن خانتني شجاعتي، فلم أستطع الوقوف بجانب غلام مسيحي يموت مبتهجاً بمحبة يسوع الذي تعلمت أن أبغضه منذ نعومة أظفاري، فسارعت بترك الغرفة. لم تمض سوى دقائق قليلة حتى أتاني الخادم، وجدني جالساً في مكتبي الخاص سائراً وجهي بكلتا يديّ، فبادرني بالقول: "يا سيدي إن شارلي كولسون يريد مقابلتك". - "لقد رأيته، و ليس في إمكاني رؤيته مرة أخرى".

- "و لكنه يلح في مقابلتك مرة أخرى قبل أن يموت". عندئذ لم أجد بداً من أن أذهب لمقابلته و ملاطفته في ساعة احتضاره. لكنني صممت ألا أتأثر بكلمة مما يقوله عن يسوع مخلصه. ذهبت إليه، و جلست بجانب فراشه، و عندئذ سألني أن أمسك بيده و قال: "أيها الطبيب إنني أحبك لأنك يهودي، و قد كان أعز صديق لي وجدته في هذا العالم يهودي المولد". - "من هو؟".

- "يسوع المسيح الذي أريد أن أقدمه إليك قبل موتي، أفتعدني أيها الطبيب أن لا تنسى ما أقوله لك؟". - "أعدك".

- "منذ خمسة أيام و أنت تقطع ذراعي و ساقي كنت أصلي إلى الرب يسوع المسيح لكي يخلصك".

لقد نفذت كلماته إلى أعماق قلبي، و لم أكن أفهم كيف ينسى نفسه و هو تحت ثقل الألم المبرح و لم يفكر في شيء غير مخلصه و نفسي الهالكة و كل ما استطعت أن أقوله هو: "حسناً يا بني العزيز، إنك ستتحسن سريعاً" و بهذه العبارة ودعته، و لم يمض أكثر من اثنتي عشر دقيقة حتى رقد

"آمناً بين ذراعي يسوع"... مات مئات الجنود في المستشفى أثناء الحرب، و لم أشيع أحداً منهم سوى الصبي الطبال "شارلي كولسون"، فقد ركبت مسافة ثلاثة أميال لأشهد دفنه، بعد أن أمرت أن يلبس حلة جديدة و يوضع في نعش ضابط و يلف في أعلام الولايات المتحدة.

لقد تركت كلمات هذا الغلام العزيز أثراً عميقاً في قرارة نفسي، و مع أنني كنت غنياً بقدر ما للمال من اعتبار في هذا المجال، لكنني تمنيت أن أعطي كل أموالني حتى آخر مليم لو أتيح لي أن أشعر بشعور شارلي نحو المسيح، غير أن هذا الشعور لا يُشتري بالمال.

بقيت بضعة أشهر بعد موت شارلي كولسون و كلماته تتردد في أذني دون أن أقوى على صدها، غير إنني بتأثير من حولي من ضباط أشرار و بيئة عالمية نسيت تدريجياً موعظة شارلي التي كرز لي بها ساعة موته، و إن كنت لم أنس صبره الغريب في شدته و ثقته الأكيدة بيسوع الذي كان اسمه في ذلك الحين موضوع احتقاري.

\*\*\*

عشر سنوات مضت و أنا في عنادى للمسيح مدفوعاً ببغضي الشديد له كيهودي ثابت العقيدة متعصب الرأي، حتى دبر الله من فرط رحمته أن أتقابل مع حلاق استخدمه واسطة ثانية لتجديدي.

لما وضعت الحرب الأمريكية أوزارها، عينت مفتشاً للجراحين علاوة على إشرافي على المستشفى الحربي في جلفستن بولاية تكساس، و في عودتي يوماً من التفتيش رأيت أن

أستريح بضع ساعات في نيويورك و أنا في طريقي إلى واشنطن حيث تقيم أسرتي. و بعد الغذاء، نزلت إلى دكان حلاق ملحق بالفندق، و عند دخولي الدكان أخذتني الدهشة إذ رأيت عدداً من الآيات المختلفة الألوان تبلغ ستة عشر آية معلقة في براويز جميلة على الجدران. و إذ جلست في أحد المقاعد رأيت أمامي على الحائط إطار به هذا الإعلان:

### «من فضلك لا تخف في هذا المكان»

ما أن بدأ الحلاق في وضع الصابون على وجهي، حتى أخذ في الحديث معي عن يسوع. كان حديثه جذاباً و عباراته طلية حتى استرق منى السمع فأصغيت إليه بكل انتباه، و في كل مدة حديثه معي كان "شارلي كولسون" الصبي الطبال يشغل بالي مع أنه قد مات منذ عشر سنوات. ما كاد الحلاق ينتهي من مأموريته حتى طلبت منه أن يقص شعري و ذلك لفرط سروري بعذب حديثه - مع أن هذا لم يكن قصدي حين دخلت إلى الدكان أولاً - و هكذا واصل حديثه معي كارزاً لي بالمسيح.

أصغيت بكل انتباه إلى كلام ذلك الحلاق، و كلما استرسل في حديثه ازددت رغبة في المزيد، حتى ما انتهى من قص شعري قلت له: "أيها الحلاق، أريد غسلاً لرأسي"، و قد قصدت بذلك أن أفسح له مجالاً ليتم حديثه الجميل، و مع ذلك فسرعان ما أتم الرجل كل ما طلبت و تاهبت للخروج.

دفعت له الأجرة شاكراً رقيق شعوره و عذب حديثه ثم خرجت لألحق القطار. كان اليوم من أيام شهر فبراير القارسة البرودة، و كان السير متعذراً خطراً بسبب الثلوج المتراكمة في



الشوارع، و لم تكن المسافة بين الفندق و المحطة تستغرق أكثر من دقيقتين، غير أن الحلاق أصر أن يصحبني إلى المحطة، و اذ قبلت طلبه بسرور تأبط ذراعي ليحفظني من الزلق، و ما هى إلا برهة قصيرة لم يتيسر له الكلام فيها حتى وصلنا إلى المحطة، و هناك قطع الحلاق سكوتنا بقوله: "أيها المغترب... ربما لا تفهم السبب الذى يدفعني للتحدث معك في هذا الموضوع المحبوب لقلبي، فمنذ دخلت دكاني عرفت من ملامح وجهك أنك يهودي".

واصل الحلاق حديثه معي عن "مخلصه العزيز"، و قال إنه شعر أن من واجبه كلما قابل يهودياً أن يعرفه بذاك الذي هو أعظم صديق له في هذا العالم و في الأبدية أيضاً. تطلعت إلى وجهه فرأيت الدموع تنهمر على خديه و علامات التأثير الشديد بادية عليه، و لم أستطع أن أفهم السبب الذي جعل رجلاً مثله بعيداً عني كل البعد يهتم بصالحي و يذرف الدمع في حديثه معي. و مددت يدي لأصافحه بكلتا يديه و ضغطها بلطف و دموعه تجرى غزيرة على وجنتيه، ثم قال: "أيها الضيف، إن كان يسرك أن تعطيني بطاقتك، فإنني أعدك وعداً مسيحياً أن لا أهجع (أستكن أو أنام) ليلاً بدون أن أذكرك في صلواتي لمدة ثلاثة أشهر متوالية، و إنني أسأل مخلصي أن يلازمك و يزعجك و لا يعطيك راحة حتى تجده - ذاك الذي وجدته أنا مخلصاً عزيزاً لنفسي، المسيا الذي تنتظره أنت". و بعد أن شكرته على اهتمامه و حسن صنيعه ناولته بطاقتي قائلاً في شيء من التهكم: "لا حرج في أن أصير مسيحياً".

عندئذ ناولني الحلاق بطاقته قائلاً: "هل تفضل بأن ترسل لي خطاباً متى استجاب الله صلاتي التي سأرفعها لأجلك؟"، فابتسمت ابتسامة ملؤها الاستخفاف و الارتياح و قلت: "سأفعل ذلك بلا شك"، و لم يكن يخطر ببالي أن الله في رحمته سيستجيب صلاة ذلك الحلاق في مدة لا تتجاوز ثماني و أربعين ساعة. صافحته وودعته وداعاً قلبياً، غير أنني بالرغم من تظاهري بعدم الاكتراث شعرت بشدة التأثير الذي ملك كل مشاعري.

\*\*\*

غير خاف أن عربة السكة الحديدية الأمريكية أطول بكثير من أية عربة أخرى من هذا النوع في إنجلترا أو غيرها، و هي عبارة عن صالون واحد يتسع لعدد من الركاب يتراوح بين الستين و الثمانين. كان عدد المسافرين في ذلك القطار قليلاً بسبب رداءة الطقس و اشتداد البرد، فلم يكن بالعربة التي ركبت بها أكثر من نصف ركابها، و في مدة لا تتجاوز عشر دقائق أو ربع ساعة تنقلت في كل المقاعد الخالية بالعربة بدون سبب أو هدف محدد.

أخذ المسافرون ينظرون إلىّ بشيء من الريبة و الدهشة لتغيير مكاني مراراً و في وقت قصير بدون أي سبب ظاهر. أما أنا فلم أستطع ضبط حركاتي الطائشة التي تصدر مني بدون حساب أو أتران و انتهيت أخيراً إلى مقعد في زاوية العربة عازماً على النوم، و ما كدت أغمض عينيّ حتى أحسست بأني محصور بين نارين، فعلى الجانب الواحد حلاق نيويورك المسيحي و على الجانب الآخر صبي جنسبرج الطبال، و

كلاهما يحدثانني عن يسوع الذي كنت أكره مجرد ذكر اسمه. لم أستطع أن أنام أو أن أطرد عوامل التأثير التي أحدثها هذان المسيحيان الأمينان فيّ، و هكذا وقعت فريسة الحيرة و الاضطراب طول مدة وجودي بالقطار.

عند وصولي إلى واشنطن اشترت إحدى جرائد الصباح، و أول ما لفت نظري فيها إعلان عن خدمات انتعاشية بكنيسة الدكتور رانكن أكبر كنائس واشنطن. و ما أن وقع نظري على ذلك الاعلان حتى شعرت بدافع داخلي للذهاب إلى تلك الاجتماعات.

لم أدخل طوال حياتي كنيسة مسيحية أثناء ممارسة الخدمة الدينية، و كنت أزدري بأي صوت كهذا كان يأتيني في الماضي حاسباً إياه من الشيطان. كانت رغبة والدي منذ صباي أن أصير خادماً، و لذلك فقد وعدته أن لا أدخل قط مكاناً يُعبد فيه "يسوع المحتال" كأنه إله، و أن لا أقرأ كتاباً فيه هذا الاسم، و قد حفظت وعدي بكل أمانة و تدقيق حتى تلك اللحظة.

عند دخولي إلى المكان، قادني أحد المستقبلين إلى مقعد في الصف الأمامي مواجهاً تماماً للواعظ، و لا ريب في أن أزراري الذهبية جذبت نظره نحوي لأنني لم أكن قد استبدلت ملابسي الرسمية، سلب الترنيم لبي بعذوبته و حلاوته، و عندما بدأت العظة تبين لي أن أحد الحاضرين أرشد الواعظ إلى شخصيتي قبل بدء الخدمة لأنني رأيته يشير إلى بإصبعه، و هكذا ظل الواعظ مثبتاً نظره فيّ ملوحاً بقبضة يده في وجهي بين آونة و أخرى، و بالرغم من كل هذا فقد كنت مأخوذاً بما كنت أسمع و لم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت كلمات ذلكما

الواعظين - حلاق نيويورك المسيحي و صبي جتسبرج  
الطبال- لا تزال تتردد في أذني مؤيدة كل ما كان الواعظ يقوله،  
و كأنني كنت أرى بذهني هذين الصديقين العزيزين يعيدان  
رسالتيهما، و لفرط سروري بما كنت أسمع شعرت بفيض  
دموعي تنحدر من وجنتي، و لذا فقد راعني الأمر و ابتدأ  
الخجل يغطى وجهي .لأنني و أنا يهودي مستقيم الرأي صرت  
كطفل أذرف الدمع في كنيسة مسيحية و هو أمر لم يصدر  
منى قبل الآن في مكان كهذا.

فاتني القول أنه بينما كان الواعظ يراقبني بنظراته أثناء الخدمة،  
خطر ببالي أنه ربما كان يقصد شخصاً آخر كان جالساً خلفي،  
و تحولت لأنظر فرأيت لعظم دهشتي عدداً كبيراً من  
الشخصيات المعروفة لدىّ من كل الطبقات، و الكل شاخصون  
إليّ، و تبين لي أنني اليهودي الوحيد الموجود في ذلك  
المكان. و تمنيت من كل قلبي لو أمكنني الخروج من الاجتماع،  
فقد كان الجميع في واشنطن من اليهود و الأمم يعرفون  
شخصيتي، لذلك ملأ الرعب قلبي و جال هذا الفكر بخاطري:  
كيف يقرأ الناس الجرائد في واشنطن "أن الدكتور روزفالي - و  
هو يهودى - كان حاضراً في الخدمات الانتعاشية التي تبعد  
أكثر من خمس دقائق عن المجمع الذي اعتاد الحضور فيه، و  
فضلاً عن هذا فقد كانت دموعه تنهمر أثناء العظة!!". و لأنني  
كنت أرغب في أخفاء دلائل التأثير التي كانت بادية على  
وجهي، فقد صممت على أن لا أمسح دموعي، بل أتركها  
لتجف من ذاتها، لكن مبارك الله فإنني لم أستطع حبس  
دموعي التي انهمرت كالسيل.

إنتهى الواعظ من خدمته و أعلن عن خدمة خصوصية أخرى دعا إليها كل من كانوا يودون الانتظار، أما أنا فقد عولت على سرعة الخروج من الكنيسة. سرت نحو الباب، و إذ بيد تمسك سترتي من الخلف، أدت رأسي فوجدت سيدة تبدو عليها معالم الشيخوخة كانت معروفة في واشنطن بالمسز يونج و هي مسيحية غيرة في الخدمة، و سرعان ما خاطبتني بالقول: "عفواً أيها الضيف، فيبدو لي أنك ضابط في الجيش، و قد كنت ألاحظك طوال الخدمة فتبين لي أنك تحت تبكيت شديد على خطاياك، و أعتقد أنك ما أتيت إلى هذا المكان إلا لكي تطلب مخلص، و لعلك لم تجده للآن، لذلك أرجو أن تنتظر قليلاً لأنني أود أن أتحدث معك، و إذا سمحت لي فأنا أصلى أيضاً من أجلك .

- "مهلاً يا سيدتي، فأنا يهودي".

- "لا يهمني كونك يهودياً، فإن يسوع المسيح مات لأجل اليهود و الأمم على السواء".

كان لقوة حجتها تأثير على نفسي، فتبعته إلى نفس المكان الذي كنت أجلس فيه أثناء الاجتماع، و هناك خاطبتني بالقول: "إن كنت تسمح بالركوع، فإني أصلى لأجلك".

- "سيدتي، هذا الأمر لم أفعله قبل الآن، و سوف لا أفعله".

ذلك لأن اليهود المستقيمين الرأي لا يركعون للصلاة سوى مرتين في العام، في عيد الأبواق و في يوم الكفارة، و هم لا يركعون كما يركع سائر المسيحيين بل ينبطحون على الأرض. نظرت مسز يونج إليّ نظرة ملؤها المحبة و قالت: "أيها الضيف العزيز، لقد وجدت في الرب يسوع مخلصاً عزيزاً و محباً غافراً و

إنى أثق من كل قلبي أنه يستطيع أن يخلص يهودياً مثلك و هو واقف على قدميه، أما أنا فسأجثو و أصلى لأجلك". جثت و ابتدأت تصلى و تحدث مخلصها في بساطة الأطفال فأخذ منظرها بمجامع قلبي و أثرت وداعتها في نفسي، و شعرت بالخجل يملأ كياني عندما رأيت سيدة طاعنة في السن جاثية بقربى و أنا واقف و هي تصلى بحرارة لأجلى. ابتدأت أتذكر كل ماضي حياتي الشريرة و تمنيت من كل قلبي لو تنفتح الأرض و تبتلعني فتخفيني عن الأبصار. و لما انتهت السيدة من صلاتها نهضت و صافحتني قائلة في رقة الأمر و عطفها: "هل تصلى ليسوع قبل أن تنام الليلة؟".

- "يا سيدتي، سأصلى لإلهي، إله إبراهيم و إسحق و يعقوب، و ليس يسوع".

- "باركك الرب، فان إله إبراهيم و اسحق و يعقوب هو نفسه يسوع المسيح المسيا الذي أنت تنتظره".

- قلت لها مودعاً: "مساء الخير يا سيدتي، و أشكرك من أجل اهتمامك بي".

في طريقي إلى البيت كنت أستعرض الحوادث الغريبة التي مرت بي أخيراً، و أخذت أسأل نفسي: "ترى لماذا يبدى المسيحيون اهتماماً كهذا باليهود مع اتساع شق الخلاف بينهم و بعدهم عنهم كل البعد؟.. أمن المعقول أن يكون ملايين الرجال من النساء الذين عاشوا و ماتوا في الإيمان بالمسيح لمدة ألف و ثمانمائة سنة ركبوا متن الشطط و سلكوا سبيل الضلال؟.. لماذا جعل ذلك الصبي الطبال جل اهتمامه محصوراً في نفسي الهالكة كما كان يقول؟.. و لماذا أظهر حلاق

نيويورك المسيحي اهتماماً غريباً بى؟.. و لماذا شملني واعظ الليلة بعنايته و أشار إليّ بأصبعه؟.. و ما معنى أن تلك السيدة العجوز تتبعني إلى باب الاجتماع و ترجعني و تصلى لأجلي؟". كلما ازددت تفكيراً في هذه الأمور ازددت شعوراً برداءة حالتي و سوء مصيري، و لكنني كنت أقول لنفسي: "ليس من المعقول أن أبي و أمي اللذين أحباني بكل قلبيهما يعلماني شيئاً بعيداً عن الصواب، ففي طفولتي غرسا في قلبي بذرة الحقد و البغضة ليسوع و علّمانني بوجود إله واحد و لم يذكر لي أن ابناً ولد لهذا الإله". و هنا شعرت برغبة ملحة أن أقف على حقيقة كل ما يتعلق بالمسيح الذي أحبه المسيحيون و عبده، فأسرعت الخطى إلى منزلي و قد عقدت العزم على فحص ديانة يسوع المسيح قبل ذهابي للنوم لأعرف ما إذا كانت ديانة حق أم خداع.

و صلت إلى منزلي، و سرعان ما لاحظت زوجتي - و كانت يهودية مدققة - على وجهي علامات تأثر غير معتاد، سألتني: "من أين؟" فلم أجسر أن أصارحها بالحقيقة و في نفس الوقت لم أكن معتاداً على التلفيق و المخاتلة، لذلك أجبتها: "أرجو أن لا تسأليني شيئاً، فإني مهتم بأمر ذي بال و أريد الآن الاختلاء في مكتبي لبحثه".

أسرعت توا إلى مكتبي و أغلقت بابه خلفي و ابتدأت أصلي وأنا أقف متجهاً نحو الشرق كما هي عادتي، و كنت كلما استرسلت في الصلاة ازددت شعوراً برداءة حالتي. كان يجول بخاطري أنني ربما أكون مخدوعاً إذ أجتو مقدماً عبادة ليسوع

الذي تعلمت منذ حدثتي أنه كان محتالاً مضلاً، و لذلك لم ترو الصلاة لي غليلاً.

كان الليل قارس البرد، ولم تكن وسائل التدفئة قد أعدت في مكثبي - لأنه لم يكن في الحسابان وجودي فيه تلك الليلة - و مع ذلك فقد كان عرقي يتصبب بكيفية لم يسبق لها مثيل في حياتي. وقع نظري على آية من التوراة كانت معلقة على جدران الغرفة: « لا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونٌ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ. » (تك ٤٩: ١٠)، و هنا تذكرت أيضاً عبارتين طالما قرأتها و تأملتھا الأولى في (مخا ٥: ٢): « أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفٍ يَهُودًا فَمِنْكَ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مِنْذُ الْقَدِيمِ مِنْذُ أَيَّامِ الْأَزَلِ، » العبارة الثانية من (إش ٧: ١٤) « وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ نَفْسَهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّاوُئِيلَ».

هذه العبارات الثلاث طرقت فكري بشدة حتى صحت: "أيها الرب إله إبراهيم و اسحق و يعقوب، أنت تعلم إخلاصي فيما أقول، إن كان يسوع المسيح هو ابن الله فأعلن لي ذلك في هذه الليلة، و إنني مستعد أن أقبله كالمسيا الذي أنتظره".

"ما أن انتهيت من كلامي حتى وجدت نفسي - بدون وعي مني- و قد جثوت في إحدى زوايا الغرفة لأصلي. كانت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أجتو فيها مصلياً و لذلك كان فكري مضطرباً بشكوك كثيرة في مدى صواب هذا التصرف، و ليس أصدق في التعبير عن مشاعري في ذلك الوقت من ترنيمتي الأولى التي نظمتها بعد تجديدي مباشرة و أهديتها



لصديقي الحميم مستر هاموند الواعظ الذي كان سبباً فيما  
حدث في حياتي من تغيير:

### لا تتركني وحيداً

نفسي ممتلئة حزناً و لا سلام قط في طريقي،  
و كل يوم تحجب الظلمة الشمس عني، فاسمعني يا رب حين  
أصلى،

كن معي في ساعة اضطرابي و اسمع تنهداتي الحارة،  
و جدد قلبي ثم قدني إلى عرشك السماوي.  
تنازل يا ربى و كن مرشدي و لا تتركني وحيداً.  
و بعيداً عن ظل جناحك تملأ الظلمة حياتي،  
فالآن خذني يا ربى إلى حماك و أذب قلبي الحجري.  
فحملني أثقل من أن يحتمل، و لكنك لا تترفع عن أن تسمعني.  
إنني لا أنسى صلاتي الأولى ليسوع: "أيها الرب يسوع  
المسيح، إن كنت حقاً مخلص العالم، إن كنت حقاً المسيا  
الذي ينتظره اليهود، و إن كنت حقاً تستطيع أن تجدد الخطاة  
كما يقول المسيحيون فغيرني و جدد قلبي لأنني خاطئ، و هذا  
وعدى لك أن أخدمك كل أيام حياتي".

لم يخف علي السبب الذي لأجله لم ترتفع صلاتي هذه فوق  
رأسي، فقد أردت إتباع يسوع، إن أجابني هو طلبي أقوم أنا  
أيضاً من ناحيتي باتمام وعدي، و هكذا مكثت جاثياً نحو نصف  
ساعة و عرقي يتصبب مدراراً فوق وجهي، أسندت رأسي  
على جدار الغرفة لتلطيف ما كنت أحس به من حرارة متقدة، و  
مع ما كنت فيه من كرب و حيرة لم أحصل على أدنى تغيير في  
حالي. نهضت و أخذت أتمشى جيئة و ذهاباً في الغرفة و

عندئذ خطر لي أني قد ركبت متن الشطط، فنذرت أن لا أجتو مرة أخرى. كنت أحاج نفسي بالقول: "لماذا أجتو؟ ألا يستطيع إله إبراهيم الذي أحبته و خدمته و عبدته كل أيام حياتي أن يعمل معي نفس ما يعملهُ المسيح مع الأمم؟"، كنت أنظر إلى الأمر من ناحيتي كيهودي و هكذا قلت في نفسي: "لماذا أذهب إلى الابن؟ أليس الآب أعظم من ابنه؟".

كلما ازددت تفكيراً ازدادت حالتي سوءاً و نفسي حيرة و اضطراباً، و هناك في زاوية الغرفة جثوت مرة أخرى، و لكنني لم استطع أن أقول كلمة واحدة، لذلك ملأ الألم نفسي و فاض قلبي بالحزن. كنت أغير موضعي المرة تلو الأخرى، مرة جاثياً و أخرى متمشياً في الغرفة، مدداً تتراوح بين ربع ساعة و عشر دقائق، حتى حانت الساعة الثانية إلا خمس دقائق صباحاً.

حينئذ أخذ عقلي يستنير بشروق نور جديد، و ابتدأت أشعر و أعتقد في نفسي أن يسوع المسيح هو المسيا الحقيقي. و ما كدت أتحقق من هذا حتى جثوت للمرة الأخيرة في تلك الليلة - غير أن هذه المرة امتازت بانقشاع سحابة شكوكي - و ابتدأت أقدم لله حمداً لأجل الفرح و السعادة التي غمرت نفسي و ملأت كل كياني بكيفية لم أعرفها من قبل، فقد وجدت شيلوه الحقيقي، ملك إسرائيل، عمانوئيل (الله معنا)، و اقتنعت بما ذكره إشعياء عن المسيا (يسوع) الذي كان: «مُخْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلٌ أَوْجَاعٌ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ.» (إش ٥٣: ٣) «وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ وَبِحَبْرِهِ شَفِينَا.» (إش ٥٣: ٥) فنظرت إليه و

علمت أنني قد حصلت على التغيير، و أن الله قد غفر خطايي لأجل المسيح.

نهضت في ملء سعادتي الجديدة، و تركت مكتبي معتقداً أن زوجتي هي أول من سيشاركني أفراحي بمجرد إخبارها بما حدث معي، فإندفعت إلى غرفة النوم – لأن زوجتي كانت قد نامت تاركة المصابيح مضاءة – و طوقتها بذراعي و أخذت في تقبيلها مدفوعاً بحرارة الفرح، قائلاً: "يا زوجتي، لقد وجدت المسيا"، فنظرت إليّ نظرة ملؤها الانزعاج و دفعتني عنها بعيداً ثم سألتني باستنكار و برود: "من وجدت؟"، فأجبته قائلاً: "وجدت يسوع المسيح مخلصي، المسيا الذي أنتظره". لم تجب بكلمة واحدة. لكن في أقل من ربع ساعة كانت قد ارتدت ملابسها و غادرت المنزل مخترقة الشارع إلى المنزل المقابل حيث يسكن والدها، لم أتبعها، و إنما خررت على ركبتيّ متوسلاً إلى مخلصي الذي وجدني حديثاً أن يفتح عيني زوجتي كما فتح عينيّ.

في الصباح علمت أن والدها هدها بالحرمان من الميراث إن هي دعنتي زوجاً لها فيما بعد، فضلاً عن قطعها من المجمع و استحقاقها اللعنة و في الوقت نفسه أرسل و أخذ ابني و ابنتي و أمرهما بأن لا يدعواني قط أباً لهما فيما بعد. زاعماً أنني مادمتم أعبد يسوع "المحتال" فإني أكون و إياه على مستوى واحد..... أواه! ما أفضع غلاظة القلب البشري، و ما أجهل الإنسان الخاطئ بحالته الحقيقية، فحسناً كتب بولس – و هو عبراني حصل على التجديد – في رسالته إلى أهل

رومية: « أَنْ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيئَةِ ... إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَاوَا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ » (رو ٣: ٩، ٢٣).

\*\*\*

بعد تجديدي بخمسة أيام صدرت الأوامر من كبير الجراحين في واشنطن أن أسافر إلى المقطعات الغربية في مأمورية حكومية، و قد بذلت كل ما في وسعي للاتصال بزوجتي قبل السفر لتوديعها، لكنها لم تشأ أن تراني أو تكتب لي، غير أنها بعثت مع أحد الجيران قائلة إنني طالما أدعو يسوع المسيح مخلصاً فلا أعود أدعوها زوجة لي و أنها لا تود الإقامة معي قط. لم أكن أتوقع رسالة كهذه من زوجتي لأنني كنت شغوفاً بها و بأولادي، لذلك غادرت المنزل في ذلك الصباح بدون أن أحاول مشاهدتهم.

أربعة و خمسون يوماً مضت على غيابي و لم تجب زوجتي بخطاب واحد على رسائلي التي كنت أكتبها لها كل يوم. كنت أشفع كل رسالة بصلاة حارة عسى أن يلين الله قلبها لتقرأ و لو واحدة منها، و كنت واثقاً أنها لو فعلت ذلك لراجعت نفسها فيما فعلته و قالته قبل سفري. كنت - في كل رسالة - أبشرها بالمسيح و أسرد لها اختباراتي في حياتي الجديدة و الفرح الذي أتمتع به.

حسناً قال كوبر: "الرب يجرى آياته بطريقة غريبة، فترى آثار قدميه في البحر، و يركب على متن الريح"، و قد تحقق هذا القول بكيفية جلية لأنه بعصيان ابنتي تجددت زوجتي. كانت ابنتي أصغر من أخيها، و كانت مدللة عندي و محبوبة جداً لقلبي و قد استولت عليها حيرة شديدة بعد تجديدي لفرط

محبته لي من جهة و لولائها لأمها من جهة أخرى. في الليلة الثالثة و الخمسين من غيابي رأت ابنتي في حلم أن والدها قد مات، فاستولى عليها الذعر و الفزع و صممت على أن تحتفظ بأول رسالة تصل منى مهما كانت الظروف، و هكذا انتظرت ساعي البريد بفارغ الصبر في الصباح التالي، و عندما سلمها الرسائل عزلت خطابي و خبأته في صدرها و صعدت مسرعة إلى غرفتها، و بعد أن أحكمت إغلاق الباب فضت الرسالة و أخذت في قراءتها ثلاث مرات.

امتلاً قلبها حزناً عميقاً حتى أن والدتها لاحظت عليها آثار البكاء، و عندما سألتها عن سبب حزنها أجابت: "أماه قد يسيئك ذكر السبب، فهل تعديني بأن لا تستائي عندما أخبرك به؟". قالت الأم: "و ما هو السبب يا ابنتي؟".

أخرجت ابنتي خطابي من تحت ثيابها و قصت حلمها على والدتها ثم قالت: "لقد فتحت خطاب أبى هذا الصباح و لست أستطيع بعد الآن تصديق ما يقوله جدي و جدتي - أو أي شخص آخر - عن أبى، فليس من المعقول أن رجلاً شريراً يكتب مثل هذه الرسائل لزوجته و أولاده، و لذا فغني أتوسل إليك أن تقرئي هذا الخطاب يا أماه".

تناولت زوجتي الرسالة و مضت إلى الغرفة المجاورة و أوصدت الباب و أخذت في قراءتها، و كلما تقدمت في القراءة تزايد الحزن في قلبها. و بعد أن انتهت من القراءة عادت إلى الغرفة التي كانت بها و قد اغرورقت عيناها بالدموع. و عندئذ سألتها ابنتي: "لماذا تبكين يا أماه؟"، أجابت: "يا بنيتي قلبي يؤلمني و أريد أن أتمدد قليلاً". و هكذا تمددت و أحضر لها الخادم قدحاً

من الشاي ظاناً أن فيه كل الكفاية للقضاء على آلامها، و الشاي يفيد في أحوال كثيرة لكنه لم يخفف عن زوجتي المسكينة قط.

و بعد برهة حضرت حماتي إلى البيت، و إذ ظنت أن ابنتها في حالة إعياء شديد بدأت تعالجها ببعض الوسائل المنزلية البسيطة - كما هى عادة الأمهات - بيد أن مجهوداتها ذهبت أدراج الرياح. و ما دنت الساعة السابعة و النصف مساء حتى أرسلت في طلب الطبيب الذي بادر بالمجيء و وصف لها الدواء. غير أن دواءه لم يفد شيئاً. و هكذا قضت حماتي الليلة في بيتي حتى الساعة الحادية عشر مساء. و قد علمت من زوجتي فيما بعد أنها كانت قد صممت على أن تجثو كما فعلت أنا من قبل بمجرد أن تغادر والدتها المنزل.

و ما أن غادرت حماتي المنزل حتى أسرع زوجتي فأوصدت الباب خلفها و هناك بجانب سريرها جثت بقلب منكسر و في أقل من دقيقتين قابلها يسوع الطبيب العظيم و شفى كل أسقامها و خلصها من كل خطاياها.

حدث لزوجتي ما حدث معي، ففي اللحظة التي كفت فيها عن بذل مساعيها البشرية و استعمالها حكمتها الإنسانية و التمسك بتقاليدها الباطلة، و حالما سلمت نفسها تسليماً كاملاً لله، وجدت الروح القدس مستعداً أن يفتح عينيها و ينقلها من الظلمة إلى النور و من سلطان الشيطان إلى الله (أع ٢٦: ١٨) « لَتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَأَلَّوْا بِالْإِيمَانِ بِبِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ. » و في اللحظة التي استطاعت

فيها أن ترى « حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ. » اشتركت مع فيلبس في القول: « وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءُ: يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ » و استطاعت أن تقول مع نثنائيل: «يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» (يوحنا ١: ٢٩، ٤٥، ٤٩).

في الصباح أبرقت إلى زوجتي ما نصه: "زوجي، تعال إلى البيت حالاً، لقد ظننتك مخطئاً و أنا صاحبة الحق، و لكنني وجدتكَ المصيب و أنا المخطئة. مسيحك هو المسيا الذي أنتظره، و يسوعك هو مخلصي الذي وجدته في الليلة الماضية في الساعة الحادية عشر و الدقيقة التاسعة عشر بينما كنت جاثية للمرة الأولى في حياتي خلص الرب يسوع نفسي".

قرأت هذه البرقية و سرعان ما فارقتني كل اهتمام بعلمي، و بدون أن أتمم مأمورياتي تركت البلد التي كنت أعمل فيها و لحقت بأول قطار اكسبريس ينقلني إلى واشنطن، و بمجرد وصولي ركبت عربة أقلتني إلى المنزل حيث وجدت زوجتي واقفة بالباب في انتظاري. كان وجهها مشرقاً بأشعة فرح مجيد، و عندما رأته و أنا نازل من العربة ركضت إلى و طوقتني بذراعيها و أخذت في تقبيلي. كان والدها و والدتها واقفين بباب منزلهما عبر الشارع، و حين رأياني و زوجتي نعانق بعضنا البعض انهالت اللعنتا منهما على كلينا.

بعد أن تجددت زوجتي بعشرة أيام تجددت إبنتي أيضاً و صارت زوجة لأحد خدام الله الأتقياء تعمل مع زوجها في كرم الرب. أما ابني - و قد كنت أتمنى أن أقول عنه ما أقوله عن أخته - فقد

وعده جده و جدته بأن يتنازلا له عن كل ما كانا يمتلكانه إن هو أنكر أبوتي و أمومة أمه، و قد حفظ وعده لهما.

ماتت زوجتي بعد تجديدها بسنة و تسعة أشهر، و قد كانت أمنيتها الوحيدة قبل وفاتها هي أن ترى ابنها الذي كان مقيماً على مسيرة سبع دقائق من منزلها، و لذا فقد بعثت إليه المرة بعد الأخرى لكي يأتي لرؤية والدته التي كانت تردد أنفاسها الأخيرة، لكنه رفض. و عندما حاول أحد خدام الله المعروفين إقناعه بإجابة رغبة والدته قال له: "تباً لها دعها تموت فهي ليست أُمي".

في صباح يوم الخميس - و هو اليوم الذي ماتت فيه زوجتي - سألتني أن أبعث إلى كل مَنْ كانوا يستطيعون الحضور من أعضاء الكنيسة التي كنا منضمين إليها لكي يكونوا بجانبها في ساعتها الأخيرة. و في الساعة العاشرة و النصف طلبت من صديقتها العزيزة مسز رايل - زوجة الراعي - أن تمسك يدها اليسرى، و وقفت أنا أيضاً بجانبها و أمسكت يدها اليمنى و إجابة لطلب زوجتي وقفنا في دائرة مكونة من ثمانية و ثلاثين عضواً و أخذنا نرنم بهدوء:

أنت حسبي	حاجة إلا
ليس لي	إليك
و لك الحب	غير
الجلي	محدود
	لديك



و أثناء الترنم قالت زوجتي بصوت خافت: "نعم هذا هو كل ما أريد هذا هو كل ما لي، تعال أيها الرب يسوع و خذني إلى البيت الأبدي"، و عندئذ رقدت بسلام. و قد جال بخاطري أن أصف كيفية انطلاقها بالأبيات الآتية:

### أتى إليك

يا للساعة المجيدة! أنا ذاهب للبيت..... الأبواب تفتح لي  
و أجنحة الملائكة تقترب إليّ..... و ها أنا أراهم  
و ظلال هذا الجمع الطاهر ..... تغمرني و تظللني  
يا مخلصي، يا مخلصي المحب ..... أنا آت إليك  
إن يضمحل هذا الهيكل رويداً ..... و الألم فوق المحتمل  
لكن لي بيتاً غير مصنوع بيد..... بيتاً أبدياً أعد لي هناك  
اشتراه لي دمك الثمين. في تلك المنازل حيث النور و الحرية  
يسوع .... يسوع المحب ..... أنا آت، أنا آت إليك  
لم يحضر ابني مشهد دفن أمه، و لم يزر قبرها، و لم يرد أن  
يدعوني أباً له، و لم يجب على أية رسالة بعثتها له من وقت  
تجديدي، و مع أنى عبرت الأطلنطي ثلاث مرات من أمريكا إلى  
ألمانيا و كنت في كل مرة أحاول أن أراه، لكن مساعيّ ذهبت  
أدراج الرياح، و مع ذلك لم تزدني هذه الأمور إلا صلاة لأجله  
لكي يتحرر من عبودية التعصب اليهودي و يرى في يسوع «  
حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ» (يو: ١: ٢٩). أما زيارتي  
الرابعة لألمانيا في يوليو ١٨٨٧ فقد ملأت نفسي قوة وزادت  
إيماني رسوخاً و ثباتاً، لأن ابني لم يكتف بأن يراني فحسب،  
بل ذرف دمعاً سخيناً عندما تذكر ماضيه مظهراً أسفه الشديد

لرفضه رؤية والدته قبل موتها و رغبته الصادقة في مقابلتها في السماء.

بعد ظهر يوم الاثنين ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٧ سافر ابني إلى أمريكا حيث قابل أخته هناك بعد غيبة دامت أربعة عشر عاماً تقريباً. و في يوم الجمعة سحب أخته إلى ضريح والدته. و عندما وقف أمام القبر ظهرت على وجهه دلائل الحزن و التبكيت العميق بسبب تقصيره نحو والدته.

و في صباح يوم الجمعة التالي ذهب ابني لزيارة قبر والدته مرة أخرى، و لكنه ذهب منفرداً هذه المرة، و هناك خر منكسراً أمام الله و سلم حياته للمسيح. وفي رجوعه للبيت زف هذه البشرى إلى أخته، و كتب لي خطاباً في نفس الليلة يخبرني فيه بتجديده، كما أن أخته كتبت لي أيضاً بدون علم منه فوصلني الخطابان معاً في وقت واحد، فكان يومي يوم بشائر مفرحة أنساني سني حزني الطويلة و فاض قلبي بفرح مع المرنم قائلاً: « عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ الْبُكَاءُ وَفِي الصَّبَاحِ تَرْتُمُ. » (مز ٣٠: ٥).

أما أمي - وقد كانت مقيمة في ألمانيا - فقد كتبت إليها بعد تجديدي مباشرة مبيناً لها كيف وجدت المسيا الحقيقي. لم أستطع أن أخفي عنها هذا الخبر الطيب ظناً مني أنها لا ترتاب في كلامي أنا أكبر أولادها الأربعة عشر. وحققة القول أن أمنيتي الوحيدة بعد تجديدي كانت أن يشاركني كل أحبائي "اليهود و الأمم" في الفرح الذي حصلت عليه، و كان لسان حالي في ذلك الوقت قول المرنم: « هَلُمَّ اسْمَعُوا فَأُخْبِرْكُمْ يَا كُلَّ الْخَائِفِينَ اللَّهَ بِمَا صَنَعَ لِنَفْسِي. » (مز ٦٦: ١٦).

كانت أمي قد عودتني - قبل تجديدي أن تكتب لي مرة كل شهر. لكن بعد أن كتبت إليها لأخبرها بالاختبار المجيد الذي حصلت عليه انقطعت أخبارها عني لمدة خمسة شهور و نصف قضيتها في حيرة و ارتباك. و ذات صباح سلمني ساعي البريد خطاباً عليه ختم البريد الألماني ، و عرفت عليه خط والدتي العزيزة. فتحت الرسالة. لم يكن بها عنوان، و لا تاريخ و لم تبدأ بعبارة "ابني العزيز" كما كان متبعاً في كل الرسائل السابقة، بل كان نصها كالآتي:

" ماكس، لا أعود أدعوك ابني بعد الآن، لقد دفنا صورتك و اعتبرناك في عداد الأموات و أقمنا لك حفلة تأبين كما يقام للموتى. و الآن ليت إله إبراهيم و اسحق و يعقوب يضربك بالعمى و الصمم و البكم، و لتكن نفسك ملعونة إلى الأبد. قد تركت ديانة أبيك و مجمع اليهود لأجل يسوع المحتال المضل" و لذلك تقبل لعنة أمك كلارا".

مع إنني حسبت حساباً لكل ما كان سيكلفني آياه اعتناق ديانة إنجيل يسوع المسيح، لكنني أعترف بأنني لم أكن مستعداً لرسالة كهذه تصلني من أمي. أما أنا وزوجتي العزيزة - و لم تكن قد ماتت في ذلك الوقت - فقد كان أحدا يرثي للآخر إذ قد تحملت هى بدورها لعنة والديها لأجل إيمانها بالمسيح و كنا نعزى بعضنا بعضاً بكلمات داود: إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي. (مز ٢٧: ١٠).

لا يظن أحد أنه من السهل على اليهودي أن يصير مسيحياً، فإنه لكي يفعل هذا يجب أن يكون مستعداً لترك أبيه و أمه و زوجته و أولاده لأجل ملكوت الله، و مع ذلك فإن الاضطهادات

كانت تزيد تقديرى لكلمات سيدي: « الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبْعُثُونِي فِي التَّجْدِيدِ مَتَّى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ. وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بِيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَاداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْآبَدِيَّةَ. » (مت ١٩: ٢٨، ٢٩).

مع أن أمي لم تكتب لي قط بعد ذلك، لكنني علمت أن آخر كلمة فاهت بها ساعة موتها هي اسمي "ماكس". و من يدرى فربما كانت ذكريات لعنتها لي و نفسها غير المكتفية باليهودية سببا قادهما لتجد حمل الله الحقيقي المسيا يسوع.

نعود الآن لتكملة حديثنا عن "شارلى كولسون":

بعد ثمانية عشر شهراً من تجديدي حضرت أحد الاجتماعات المسائية للصلاة بمدينة بروكلين، و في هذا الاجتماع وقفت سيدة طاعنة في السن و قالت: "أصدقائي الأعزاء، ربما تكون هذه هي فرصتي الأخيرة التي أتمتع فيها بإمتياز الشهادة للمسيح، فقد أخبرني طبيب العائلة أمس أن رثتي اليمنى قد أوشكت أن تتوقف عن العمل، و أنه لم يبق لي بينكم إلا القليل من الوقت، و إنه من دواعي سروري العظيم أن أعلم أنني سأقابل إبني مع يسوع في السماء.

"لم يكن ابني جندياً مدافعاً عن وطنه فحسب، بل كان أيضاً جندياً ليسوع المسيح، فقد جرح في موقعة جتسبرج و وقع بين يدي طبيب يهودي عالجه بتر ذراعه و ساقه و لكنه مات بعد العملية بخمسة أيام، و قد وصلني خطاب من قسيس الفرقة - ومعه إنجيل ابني - ذكر فيه أن شارلي و هو يلفظ

أنفاسه الأخيرة أرسل في طلب ذلك الطبيب اليهودي و قال له: " أيها الطبيب، أريد قبل موتي أن أخبرك أنني منذ خمسة أيام بينما كنت تقطع ذراعي و ساقي كنت أصلي للرب يسوع المسيح لكي يخلص نفسك".

و عندما سمعت كلمات هذه السيدة لم أستطع الجلوس في مكاني، فتركت مقعدي و اخترقت صفوف الجالسين حتى وصلت إليها و أمسكت بيدها قائلاً : باركك الله يا أختي العزيزة، لقد سُمعت صلاة ابنك و أستُجِبت، فأنا هو الطبيب اليهودي الذي صلى لأجله ابنك شارلي، و الآن فإن مخلصه هو مخلصي".

ما إن ختمت كلامي حتى امتلأ المكان بحماس سماوي، و تأججت نفوس الحاضرين بغيرة مقدسة عند رؤية يهودي و أممية قد صارا "واحدًا في المسيح" شاهدين لقوته العجيبة التي مكّنت ذلك الصبي الطبال - في ساعته الأخيرة - أن يظهر روح سيده في صلاته لأجل أعدائه على الصليب و قوته التي ظهرت في استجابة صلاة ذلك الصبي المحتضر، و التي ستظهر أخيراً في استعلان تلك الوحدة المجيدة لربوات المفديين من كل قبيلة و لسان و شعب أمة.

و هناك بين المفديين ... في مجد و فرح أبدى ستقابل تلك الأم العزيزة و الطبيب المتجدد ... ذلك الصبي الطبال.

أيها القارئ العزيز...

ألا ترى في هذه القصة شهادة قوية عن نعمة الله و قوة رسالة إنجيله في خلاص خطاة كثيرين و إعطائهم حياة؟ هل تجد هذه الرسالة كذلك لنفسك؟ مهما كانت أمتك و ديانتك و شخصيتك، فأنت خاطئ في نظر الله و محتاج إلى مخلص ، و يوجد مخلص واحد لا سواه ... اسمه يسوع المسيح. صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ (١تى ١: ١٥).

«لَأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِغَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ.» (رو ١٠: ٩).

رقم الإيداع

١٩٨٥ / ٣٧٢٥